22-1-3 السجون في العصر الحديث

إن تطور نظام السجون كان موازيا لتطور علم العقاب وما حمله من نظريات جديدة نادت بالحد من قسوة العقوبات بإضافة إلى حركة الإصلاح الاجتماعي حيث نادى رواد هذه الحركة أمثال: جون هوارد J.Howard و اليزبيت فراري E.Ferari إلى ضرورة إصلاح نظام السجون وتحسين أحوال المسجونين.

وفي نهاية القرن التاسع عشر ظهرت حركة الدفاع الاجتماعي في كل من فرنسا وايطاليا وغيرها من الدول الأوروبية والتي نادت بإلغاء العقوبات الجسدية وتجريد العقوبة من كل مظاهر التعذيب والقسوة، إذ كانت الغاية من إنزال الجزاء الجنائي هو استئصال العوامل الإجرامية وإصلاح المنحرف حتى لا يعود إلى الإجرام ثانية ومن أمثلة رواد هذه الحركة: انريكو فيري E.Ferri، مارك انسل M.Ansel.

ليصبح السجن في الوقت الحاضر مؤسسة إصلاحية وعلاجية وتأهيلية يهدف إلى تحقيق فكرة العقاب والإصلاح الاجتماعي أكثر منه مؤسسة عقابية. بل ظهرت في القرن العشرين السجون المفتوحة وبدائل أخرى غير السجون ومشاركة المجتمع المدني بكل مؤسساته في إصلاح وتأهيل المحكوم عليه وإعادة إدماجه في المجتمع كفرد سوي.

2-2 أنواع السجون

يتم تقسيم مؤسسات السجون وفق معايير علمية تعتمد على عدة أسس فقد يكون الأساس الجنس وبتالي تخصص مؤسسات للرجال وأخرى للنساء، وقد يكون الأساس الخطورة الإجرامية لسجناء وفي هذه الحالة نجد مؤسسات خاصة للخطيرين وأخرى لغير الخطرين، كما يمكن أن تقسم على أساس مدة العقوبة من حيث طولها أو قصرها.

1-2-2 السجون المغلقة

قد قامت هذه السجون على أساس أنى النزلاء الأفراد خطرون مما يستوجب إبعادهم[1] وعزلهم ولذلك نجد هذا النوع من السجون تكون خارج المدن كما نجدها محاطة بأسوار عالية ومباني مرتفعة. ويتميز نظامها بالصرامة والحراسة المشددة في الداخل والخارج وتكون المعاملة فيها قاسية خاصة على من يخالف الأنظمة الداخلية من السجناء، ويوضع في المؤسسات العقابية المغلقة المحكوم عليهم بعقوبات سالبة للحرية طويلة المدى والمجرمون الخطرون كمعتادين الإجرام.

2-2-2 السجون المفتوحة

تتجرد السجون المفتوحة من كل المظاهر المادية مثل الأسوار المرتفعة والقضبان الحديدية والحراس المتعددين فأبنية هذا النوع من السجون مطابقة في مظهرها للأبنية الحكومية الأخرى، فنجد أسوارها منخفضة ويكتفي لتحديدها أحيانا سياج من الخشب أو أسلاك شائكة مع غياب الحراس على الأسوار من الخارج. وهي تتخذ شكل مستعمرة ولهذا نجدها تقع في المناطق الريفية لكي يسهل على السجناء القيام بأعمال الزراعة والصناعة. ويجدر الإشارة أنها لا تسمح بإدخال المحكوم عليه إلا بعد دراسة شخصيته وتقدير احتمالات تلاؤمه مع نظام هذه المؤسسات.

3-2-2 السجون الشبه مفتوحة

[1] – عبد الله غانم وآخرون، برامج التدريب في المؤسسات الإصلاحية، المركز العربي للدارسات الأمنية والتدريب ، الرياض، 1991 ،ص:43.

وهو نظام وسط بين السجون المغلقة والمفتوحة فالحراسة في هذا النوع من السجون معتدلة غير مكثفة بالنسبة للمعمول بها في السجون المغلقة، لذا تكون أسوارها متوسطة الارتفاع وتتقارب من المباني الحكومية الأخرى. وعموما نجد هذا النوع من المؤسسات خارج المدن ويتم اختبار موقعها في مناطق صناعية أو زراعية وهذا حتى يتسنى للمساجين بممارسة بعض الأنشطة كعمل تأهيلي. كما يوجد في السجون شبه مفتوحة قسم تشدد فيه الحراسة والرقابة وتوضع القضبان عن نوافذه والأقفال على أبوابه، ويخصص لمن يوقع عليه الجزاء تأديبي إذا أخل بالنظام المفروض عليه.[1]

2-3 الأنظمة المتبعة في السجون

يتوقف المساس بحرية المحكوم عليه على طبيعة ونوع السجن أي المؤسسة العقابية التي سيتم تنفيذ فيها الجزاء الجنائي، وان دراسة التطور التاريخي لتلك المؤسسات يكشف لنا تنوع الأنظمة المتبعة فيها. وعموما تنحصر الأنظمة المتبعة في هذه المؤسسات في النظام الجمعي، النظام الانفرادي، النظام المختلط والنظام التدريجي. والمقصود بنظام السجن الكيفية التي يعيش بها المحكوم عليهم من حيث عزلتهم، مدى اتصالهم ببعضهم البعض وأسلوب تطبيق البرامج الإصلاحية عليهم.

2-3-1 النظام الجمعي le régime en commun

و هو أقدم الأنظمة العقابية وهنا يعيش جميع المساجين معا ليلا ونهارا فينامون سويا في قاعات كبيرة ويتناولون وجباتهم معا في قاعة الطعام، إضافة إلى العمل المشترك والسماح لهم بالحديث فيما بينهم وكذا مزاولة بعض النشاطات كالتعليم والتهذيب، ولا يفرق إلا بين النساء والرجال والكبار والصغار.

وعلى الرغم من أن هذه الانتقادات لها قدر كبير من الصدق إلا أن ذلك لا يؤدي إلى استبعاد النظام الجمعي كلية ولكن الاستخدام الأمثل لبعض القواعد التي من شأنها أن تسمح للإبقاء هذا النوع من النظام في حدود معينة، وذلك بالنسبة لعدد محدود من المجرمين الذين تتقارب درجة خطورتهم وتتشابه ظروفهم عن طريق الاستعانة بمبادئ التصنيف وجعل الإشراف عليهم على يد أشخاص متخصصين أكفاء. ولا شك من أن أسلوب المعاملة يحد من المساوئ السابقة لنظام الجمعي ويستفيد المسجون من مزايا هذا النظام التي قد لا تحققها نظم أخرى وبصفة خاصة ميزة التوازن البدني والنفسي للسجين.[2]

2-3-3 النظام الانفرادي le régime cellulaire

ويسمى أيضا النظام البنسلفاني أو الفيلاديلفي ويعتبر هذا النظام على العكس تماما من النظام الجمعي وأصل هذا النظام كنيسي، فهو يرتبط بمفهوم الجريمة في الديانة المسيحية هذه الأخيرة التي ترى أن الجريمة تستوجب التوبة إلى الله والتكفير عن الذنوب وهذا لا يتم إلا بالعزلة الكاملة. وأساس هذا النظام هو عزلة السجين التامة حيث ينفرد كل سجين بغرفة خاصة به يقضي فيها طول مدة عقوبته، فيقوم بعمله ويتناول الطعام ويقضي فيها أوقات الراحة والنوم وله أن يستقبل فيها موظفي السجن ومعلميه وكذا رجال الدين، كما يسمح بالعمل والقراءة والخروج مرة أو مرتين في اليوم للرياضة على أن يتم كل ذلك في مكان منعزل.

---

[1] – محمد احمد المشهداني ، أصول علمي الإجرام والعقاب، مرجع سابق، ص:181.

[2] – محمد صبحي نجم، أصول علمي الإجرام وعلمي العقاب، دار الثقافة لنشر والتوزيع، الأردن، 2006، ص: 134.

3-3-3 النظام المختلط le régime mixte

ويعرف أيضا بنظام الأوبرني وطبق هذا النظام لأول مرة عام 1823 في سجن بمدينة أوبرن بولاية نيويورك ومن هنا جاءت تسميته بالنظام الأوبراني، ويقوم هذا النظام على أساس المزج بين النظامين السابقين (النظام الجمعي و الانفرادي) ، ففي النهار يختلط المحكوم عليهم أثناء العمل وتناول الطعام وتلقى البرامج الدينية والتهذيبية ولكن شريطة التزام كل منهم بالصمت، فلا يتبادلون الحديث مع بعضهم البعض على أن يفصل بينهم ليلا فينفرد كل واحد منهم بغرفة خاصة به في النوم ولذلك يطلق على هذا النظام بالنظام الصامت.

4-3-3 النظام التدريجي le régime progressif

ويعرف أيضا بالنظام الايرلندي فقد كان سلب الحرية في الأنظمة السابقة غاية في حد ذاتها على عكس النظام التدريجي، أين تكون سلب الحرية تهدف إلى عودة المحكوم عليه تدريجيا وعلى مراحل إلى الحياة العادية بعد الانفراج عنه.

ويقصد بالنظام التدريجي تقسيم فترة العقوبة السالبة للحرية إلى عدة مراحل تخفف فيها قسوة النظام الذي يخضع له المحكوم عليه تدريجيا منذ فترة دخوله إلى السجن والى ما قبل خروجه منه، ويهدف هذا النظام تحقيق غرضين: الأول تشجيع المحكوم عليه على الخضوع لنظام السجن وإتباع مسلك سليم حتى يحظى بالخضوع لنظام أخف في المرحلة التالية. والهدف الثاني التدرج بالمحكوم عليه من حياة سلب الحرية إلى حياة الحرية الكاملة التي سيمارسها بعد خروجه من السجن.[3]

3- أساليب المعاملة العقابية

1-3 أساليب المعاملة العقابية داخل السجون

تخضع المؤسسات العقابية والمتمثلة في شكلها الجوهري بالسجون إلى أسس وقواعد مميزة من ناحية تنظيمها الإداري والمهني وذلك حتى تستطيع تنفيذ الإطار المادي المعنوي والإصلاحي لعقوبة سلب الحرية ، والمقصود بأساليب المعاملة العقابية ما تبذله الإدارة العقابية الخاصة بكل مؤسسة من وسائل تجاه المحكوم عليهم أثناء تنفيذ عقوباتهم، وهذه الأساليب متعددة حيث يقسمها بعض الباحثين إلى أساليب أصلية وأخرى تكميلية وتضم الأساليب الأصلية العمل العقابي، والتعليم والتهذيب، والرعاية الصحية أما الأساليب التكميلية فتشمل الرعاية الاجتماعية.

وسنقتصر من جانبنا على دراسة أهم أساليب المعاملة العقابية ولكن البداية الفعلية هي تصنيف المحكوم عليهم وهذا لكي تنتج تلك الأساليب العقابية أثرها في تأهيل المحكوم عليهم.

1-1-3 تصنيف المحكوم عليهم

1-1-1-3 ماهية التصنيف

يقصد بالتصنيف تقسيم المحكوم عليهم إلى فئات متشابهة في ظروفها وفقا لمجموعة من المعايير كالسن، الجنس، نوع الجريمة، نوع العقوبة ومدتها، الحالة النفسية، الصحية، البدنية، العقلية والحالة الاجتماعية وكذلك مدى إمكانية أو القابلية التأهيل. وذلك لعزل هذه الفئات عن بعضها البعض ومن تما التفريق بينهما في المعاملة العقابية.

---

[3] – محمد احمد المشهداني، أصول علمي الإجرام والعقاب ، مرجع سابق ،ص: 176.

2-1-3 العمل العقابي

لقد كان الهدف من السجون عند إنشاءها في القرن السادس عشر هو اعتبارها مكان يودع فيه المتسولون والكسالى ومن لا مأوى لهم وكان يفرض عليهم العمل حيث أطلق عليها آنذاك بسجون العمل Prison de travail ، وعندما تحولت سلب الحرية إلى عقوبة أصبح العمل يعد عقوبة إضافية حيث كان هناك تناسب بين قسوة العقوبة وقسوة العمل. وفي القرن عشرين وما حمله من تطور في أساليب المعاملة العقابية لم يعد الغرض من العمل التعذيب وإنما الإصلاح والتأهيل على أساس تلقين المحكوم عليهم أصول مهنة يتعيشون منها بعد الإفراج.

3-1-3 التعليم

كشفت دراسات علم الإجرام عن نسبة كبيرة من غير المتعلمين بين نزلاء المؤسسات العقابية، وعن وجود علاقة ما بين الأمية و الجريمة.

1-3-1-3 ماهيته

إحدى وسائل المعاملة العقابية التي تسهم في تأهيل المحكوم عليه وإصلاحه والمقصود بالتعليم هو محو أمية المحكوم عليه وهذا يتم عن طريق تعليمه الكتابة والقراءة. وهذا الدور الأول للتعليم يعتبر إلزاميا في المؤسسات العقابية لأهميته في التأهيل،

2-3-1-3 أنواع التعليم

يتضمن التعليم داخل المؤسسات العقابية التعليم العام و التعليم الفني: واهم مراحل التعليم العام هي التعليم الأولي الذي يزيل أمية المسجون فيعلمهم الكتابة والقراءة وتلقيتهم بعض المعلومات الأساسية وبهذا نجد في هذه المرحلة أن التعليم يكون إلزاميا، وبجانب هذه المرحلة من التعليم يجب توافر مراحل أخرى تصل إلى الجامعة وهذا لكي يتسنى لمن توقف عند إحدى المراحل من الارتفاع بمستواه التعليم،ي وهنا يمكن الاستعانة بنظام التعليم بالمراسلة أو عن طريق الانتساب.ولا يقتصر التعليم داخل المؤسسات العقابية على التعليم العام بل يشمل التعليم الفني ومفاده تدريب المحكوم عليهم و الذين ليست لهم مهنة على ممارسة احدي المهن التي تتفق وميولهم وقدراتهم.

وتتعدد وسائل التعليم داخل المؤسسات العقابية ومن بين هذه الوسائل إلقاء دروس ومحاضرات، توزيع المجالات والصحف، إنشاء مكتبة داخلية.

4-1-3 التهذيب

*** التهذيب الديني**

قد يكون انعدام أو ضعف الوازع الديني إحدى العوامل الإجرامية بالنسبة لبعض المحكوم عليهم، لذا يكون غرس القيم المعنوية عن طريق نشر التعاليم الدينية ضروري وهذا لمكافحة بل واستئصال الإجرام في شخص المحكوم عليه.

*** التهذيب الخلقي**

وهو يقوم على أساس إبراز القيم والمبادئ الخلقية السامية التي يستمد منها المجتمع أنظمته وقوانينه، ويتولى التهذيب أشخاص مختصون يتوافر لديهم الإلمام بقواعد علوم الأخلاق والنفس والقانون

5-1-3 الرعاية الصحية

وتستهدف الرعاية الصحية إلى علاج المحكوم عليهم من الأمراض التي يعانون منها أو التي يصابون بها أثناء تنفيذ عقوبتهم كون أن معطيات الوسط العقابي تجعل من السهل انتقال الأمراض المعدية بين المسجونين، ولا تتوقف الرعاية الصحية على العلاج فقط بل تمتد لتشمل كل الاحتياطات اللازمة سواء تلك التي تتعلق بالنظافة المسجونين، نوعية الغذاء المقدم لهم، حالة المرافق الصحية، نوعية ونظافة الملابس و بتالي تتناول الرعاية الصحية جانبين وهما الوقاية والعلاج.

3* نظافة المحكوم عليه

*** لباس المحكوم عليهم**

*** غذاء المحكوم عليه**

3-1-5-2 الأساليب العلاجية

يشمل العلاج كافة أنواع الاضطرابات أو العلل التي يشكو منها المحكوم عليه سواء أكانت تلك الاضطرابات بدنية، نفسية أو عقلية ولا يتحمل المحكوم عليه نفقات العلاج. ولهذا يجب أن تتوفر في كل مؤسسات السجون خدمات طبية مؤهلة ومختصون أكفاء (أطباء، ممرضون، أخصائيين نفسانيين...) كما ينبغي أن يتم تنظيم وتنسيق الخدمات الطبية على نحو وثيق الصلة بالإدارة العامة.

أما السجناء الذين يتطلبون عناية متخصصة فينتقلون إلى سجون متخصصة أو مستشفيات مدنية ومن الواجب أن تتوافر في السجن خدمات العلاج التي تقدمها المستشفيات [4] بالإضافة إلى إعداد منشآت خاصة في سجون النساء لتوفير العناية والعلاج قبل الولادة وبعدها. وعموما تتلخص أساليب العلاج في ما يلي:

*** الفحص الأولي للمحكوم عليهم**

ويعرف أيضا بالفحص الابتدائي حيث يفحص كل محكوم عليه بمجرد دخوله السجن ويشمل هذا الفحص الحالة الصحية والنفسية، فإذا اكتشف وجود مرض لديه ويكون هذا المرض معدي تأخذ الإدارة العقابية أساليب معاملة ملائمة لحالته كعزله حتى لا تنتقل العدوى إلى باقي المحكوم عليهم ومن تم التكفل العلاجي للمحكوم عليه. وهذا بإضافة إلى تقديم تقارير طبية دورية من خلال توقيع الكشف الطبي الدوري كل أسبوع أو أسبوعين على كل سجين، ولا تقتصر هذه التقارير على الأمراض بل تشمل حالة التغذية والنظافة والأبنية والأماكن التي يرتادها المحكوم عليهم واقتراح ما يلزم بهدف تطويرها وتطوير مستوى الخدمة.* **علاج المحكوم عليهم**

و العلاج النفسي هنا عبارة عن مجموعة من الأساليب و التقنيات النفسية بغرض علاج مجموعة واسعة من الاضطرابات النفسية و نمو الشخصية و تحقيق أفضل مستوى ممكن من التوافق النفسي و كل ما يندرج ضمن شروط الصحة النفسية ، يسمى العلاج النفسي. و سوف نعرض مجموعة من اهداف العلاج

[4] – سهيل حسين الفتلاوي، حقوق الإنسان ،مرجع سابق، ص :308

النفسي و هي بمثابة نقاط مشتركة نجد كل أنواع العلاجات النفسية تشترك فيها و إن اختلفت الطرق و الأساليب ،

←- زيادة و عي الفرد و استبصاره.

←- حل الصراعات التي يعاني منها الفرد.

←- قبول الفرد لذاته.

←- تقوية عامة لدفاعات الفرد.

←- اطلاق امكانيات النمو لدى الفرد.

←- توفير أساليب اكثر نجاعة في التعامل مع المشكلات.

←- تعديل البناء المعرفي و اساليب التفكير الخاطئة.

←- العمل على اتمام الشفاء الحيلولة دون حدوث الانتكاسة.

و قد يكون العلاج المعرفي السلوكي من انجع انواع العلاجات النفسية الناجحة في مجال الجريمة و الانحراف من خلال تعديل الأفكار اللاعقلانية للمجرم . ، فهذا النوع من العلاج يسمح بـــــــ :

- تغيير و تفنيد المعتقدات الخرافية التي تقف وراء السلوك اللاتكيفي والطريقة التي يفكر بها المتعالج.

- تقليل الاضطرابات النفسية والسلوكات الهازمة لذات ، وتقليل لوم الذات والآخرين.

- احداث تغيير لدى المتعالج بشمل التفكير الخاطئ ، و التوضيح له كيفية تأثير تفكيره الخاطئ على تصرفاته وشعوره من التعرف على التشويهات المعرفية وترتيب ظروف وتجارب تقود للتغيير المعرفي.

- اطلاع المتعالج على قراءات معرفية لها علاقة بمشكلاته شريطة أن تحتوي هذه القراءات على أفكار عملية وعقلانية للتعامل مع المشكلات.

و وفقا لهذا المنطلق يكون دور المعالج النفسي مساعدة المتعالج على الوقوف و التعرف على تلك الأفكار و ما تسببه من اضطرابات انفعالية و نفسية ، و التخلص منها و استبدالها بأفكار أخرى عقلانية.

*** كما يمكننا توجيه المحبوس نحو برامج التي توفرها المؤسسات العقابية من مزوالة الدراسة و اجتياز اختبارات التعليم المتوسط و الثانوي و اختيار مهن معينة وتعلمها و التحصل على شهادة ايضا مزاولة بعض الانشطة و تعلم مهن معينة تساعده على الاندماج الاجتمماعي لاحقا عقبا خروده من المؤسسات العقابية.